دراسة موضوع العمل الخيري
من حيث تأصيلُه في الكتاب والسنة،
واستجلاء مقاصد الشريعة الإسلامية
في العمل الخيري، وربطه بواقعنا المعاصَر

إعداد

د. أردوان مصطفىٰ إسماعيل

ملخَّص البحث

يعـدُّ العمـل الخيـري أداةً فعَّالـةً لتقـدُّم الشـعوب، وتطـوُّر المجتمعـات، وازدهـار الحضـارات، يقـرِّب الفجـوة بـين طبقـات المجتمـع، وينقـذ الفئـات الضـعيفة، ويسـاهم في اسـتقرار المجتمـع وحفـظ أمنـه ووقايتـه مـن الثـورات والانتفاضـات، وينشـر التعـاون والتكـاتف والتـآخي والتضـامن بـين أفـراد المجتمع.

ومـن هنـا، فـإنَّ البحـث سـعىٰ إلـىٰ تأصـيل مفهـوم العمـل الخيـري في ضـوء الكتـاب والسـنة، ومقاصـد الشَّـريعة الإسـلاميَّة وكليَّاتهـا، وواقعنـا المعاصـر. جلَّىٰ البحث:

في المبحـث الأول: مفهـوم العمـل الخيـري وأوضـح أن الكتـاب والسـنة قـد أصَّـلا لفكـرة العمـل الخيـري وضـرورة وجـوده وموقعـه الحيـوي في المجتمع.

وفي المبحـث الثـاني: أبـان البحـث المقاصـد الرئيسـة للعمـل الخيـري ودورهـا النَّشـيط في واقعنـا المعاصـر؛ إذ كشـف أَنَّ العمـل الخيـري يرمـي إلـىٰ تحقيـق مقصِـد الحريـة للإنسـان، ومكافحـة مشـكلة الفقـر التـي يـئنُّ منهـا العالم في القديم والحديث.

كـذلك، سـعىٰ إلـىٰ تحصـيل السِّـلم الاجتمـاعي والسـلام العـالمي بـين الأمـم والشـعوب، لاسـيَّما في هـذا العصـر الـذي يتجـرَّع مـن الإرهـاب والتطرف والأفكار الرديَّة.

وأيضًـا، رامَ المحافظـة علـىٰ الكليَّـات الخمـس للشَّـريعة الإسـلاميَّة التـي هي: الدين والنفس والعقل والمال والعِرض.

وفي الختام، سجَّل البحث أبرز النتائج والتوصيات.

مقدِّمة

الحمد لله الذي رسَّخ أصول العمل الخيري في كتابه، والصلاة والسلام علىٰ محمد الذي عدَّ العمل الخيري مقصِدًا عليًّا، ونوَّع من أبوابه في سنَّته المطهرة، وعلىٰ آله وأصحابه الذين تسابقوا في عمل الخيرات، ومن سار علىٰ منولهم إلىٰ قيام البعث والنشور.

أما بعد: فإنَّ الإسلام قد قعَّد الأصول الكليّة، والقواعد العامَّة، للعمل الخيري؛ ذلك أن الكتاب والسنة يحرِّضان المسلمين علىٰ المسابقة إلىٰ فعل الخيرات، والمسارعة إلىٰ عمل الصالحات، والتنافس في ذلك، في شتّىٰ حلائب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والتربوية وغيرها. وعلىٰ هذا، يعدُّ العمل الخيري أمرًا إيجابيًا وسلوكًا حضاريًا ترتقي به الشعوب والمجتمعات، وجامعةً إنسانيةً تنضوي علىٰ كل معاني البِّر والعمل الصالح.

ومن هنا، فإنَّ العمل الخيري يندرج تحت كليَّات الشريعة الإسلامية ومقاصدها التي أطبق جميع فقهاء الإسلام علىٰ ضرورة وجودها، ووجوب رَعيها، ولزوم المحافظة عليها، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعِرض أو النسب.

ومما يجدر بالإلماع هنا، أنَّ تنظيم هذا المؤتمر الدولي بعنوان: «**العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها**» بالمملكة العربية السعودية، لَيُعدُّ نقطةَ تحوُّلٍ في مضمار العمل الخيري تطويرًا وتطبيقًا وحرصًا شديدًا

في دعم التكافل الاجتماعي ومساندة العطاء الإنساني للفئات الضعيفة في المجتمع، في ظلال مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة.

إشكاليَّة البحث:

تتبدَّىٰ مشكلة البحث في: أَنَّ العمل الخيري مقصِد كلي وثابت من مقاصد الإسلام، وحاجةٌ إنسانيةٌ، وضرورةٌ حياتيةٌ، يرمي إلىٰ تلبية حاجات الإنسان، في شتَّىٰ حلائب الحياة. وأن نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) تنضوي نظريةً متكاملةً ومتناسقةً للعمل الخيري وتطبيقاته وأبعاده الفردية والجماعية. كذلك البُعد الاجتماعي والاقتصادي والنفسي. ويرمي العمل الخيري- أيضًا- إلىٰ تحقيق مرضاة الله تعالىٰ، ونيل الثواب الأخروي، وضمان الحقوق الرئيسة للإنسان، ونشر قيم التعاون والتآخي والتسامح والتعايش والاعتدال والوسطية في المجتمع.

وعلىٰ هذا، فإن البحث يسعىٰ للتحدُّث عن العمل الخيري في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، وواقعنا المعاصر.

أهداف البحث:

يرنو البحث إلىٰ تحقيق الأهداف الآتية:

١- انجلاء مفهوم العمل الخيري.
٢- تأصيل العمل الخيري في الكتاب والسنة.
٣- انكشاف المقاصد الشرعية للعمل الخيري وموقِعها الحيوي في واقعنا المعاصر.

منهج البحث:

ينتهج البحث المنهجين الآتيين:

١- **المنهج الاستقرائي:** سيتمُّ استخدامه في تتبُّع النصوص القرآنية

والحديثية وعبارات الفقهاء؛ من أجل استجلاء المقاصد الشرعية للعمل الخيري.

٢- **المنهج التحليلي الوصفي**: ويتوصَّل به إلىٰ تحليل نصوص الوحيين، وتوصيف أقوال فقهاء الإسلام؛ قصد تبيان مضامين العمل الخيري، ومقاصده العليَّة في المفهوم الإسلامي.

الدِّراسات السابقة مع الإضافة العلمية:

ثمة مؤلفاتٌ وأبحاثٌ، تناولت العمل الخيري، بوجهٍ عامٍ، وكذلك مقاصد الشريعة الإسلامية، بيدَ أن المصنفات والأبحاث التي تحدثت عن مقاصد الشريعة الإسلامية في العمل الخيري، لم تكن غزيرةً، ولم تستوفِ الموضوع حقه، من هنا، نزجي أهم المؤلفات والأبحاث التي لها صلةٌ وثقىٰ بموضوع البحث، وذلك علىٰ الوجه الآتي:

* مؤلَّف: «**أصول العمل الخيري في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية**»[1]، للكاتب د. يوسف القرضاوي، تطرَّق فيه إلىٰ أن العمل الخيري من المقاصد الرئيسة للشريعة الإسلامية، وأبان أن من مميزات العمل الخيري في الإسلام الشمول والتنوع والاستمرار وقوة الحوافز والخلوص للخير، وتكلم عن مفردات العمل الخيري وأدلته في الكتاب والسنة، ثم أوضح مصادر تمويل العمل الخيري في الإسلام، مثل: الزكاة وغيرها. كذلك، أورد فتاوىٰ تتعلق بالعمل الخيري. ورغم تضمُّن الكتاب للخطوط العريضة ذات الصلة الوثقىٰ بالعمل الخيري، إلا أن دراستنا تتباين عنه من حيث تركيزُها علىٰ:

مقاصد الشريعة الإسلامية في العمل الخيري؛ لاسيما مقصد الحرية.

(١) يوسف القرضاوي، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨م.

ومقصِد مكافحة مشكلة الفقر.

ومقصِد تحقيق السلم الاجتماعي والسلام العالمي.

ومقصد المحافظة علىٰ الكليات الخمس.

كذلك، ترنو الدِّراسة إلىٰ ربط هاته المقاصد بالواقع المعاصر، للعالم الإسلامي.

* ودراسة بعنوان: «**العمل الخيري: دراسة تأصيلية تاريخية**»(١)، للباحث محمد صالح جواد مهدي، تطرَّق إلىٰ معنىٰ العمل الخيري، وتأصيله في الكتاب والسنة. ثم تحدَّث عن مفردات العمل الخيري وأهدافه، ووضَّح الدور التاريخي للعمل الخيري. وكانت دراسة الباحث حَكرًا علىٰ الجانب التأصيلي التاريخي للعمل الخيري.

بيدَ أنَّ بحثنا سيتطرَّق إلىٰ دراسة موضوع العمل الخيري من حيث تأصيلُه في الكتاب والسنة، واستجلاء مقاصد الشريعة الإسلامية في العمل الخيري، وربطه بواقعنا المعاصَر.

* أما تمام عودة العساف، ومحمد حسن أبو يحيىٰ، فقد تناولا موضوع العمل الخيري في بحثهما: «**العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية**»(٢)، فتحدَّثا عن مفهوم القاعدة المقاصدية، والعمل الخيري وحكمه. ثم أوردا بعض القواعد المقاصدية التي تنظِّم أحكام العمل الخيري، مثل قاعدة: درء المفاسد أولىٰ من جلب المصالح.

---

(١) محمد صالح جواد مهدي، مجلة سر من رأىٰ، المجلد٨، العدد٣٠، السنة الثامنة، ٢٠١٣م.

(٢) تمام عودة العساف، محمد حسن أبو يحيىٰ، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد٣، ١٤٣٤ه.

وتتباين دراستنا عنه من حيث تركيزُها علىٰ أبرز مقاصد الإسلام في العمل الخيري، والتأصيل الشرعي للعمل الخيري، دون الاقتصار علىٰ القواعد الفقهية فحسب.

* وقد تعرَّض الباحث قطب الريسوني لمسألة العمل الخيري في بحثه: «**قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري**»[1]، فعرَّف مصطلح قواعد الوسائل، والتنمية، والعمل الخيري، ثم أورد أبرز قواعد الوسائل، مثل: قاعدة «للوسائل حكم المقاصد»، و«يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد»، و«ما حرم سدًا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة»، وأبان تطبيقات تلك القواعد في مضمار العمل الخيري. وهذا البحث حكرٌ علىٰ قواعد فقهيةٍ، ضمن دائرة الوسائل والمقاصد.

إلا أن بحثنا يختلف عنه من حيث استجلائه لتأصيل العمل الخيري في الكتاب والسنة، وانجِلاء أبرز المقاصد الشرعية للعمل الخيري، ودورها المتوقِّد في حياة المسلمين، وتحديدًا في الوقت الحاضر.

* وهناك بحث بعنوان: «**مقاصد الشريعة الخاصة بالتبرعات والعمل الخيري**»[2]، للباحث عز الدين بن زغيبة، حيث تحدَّث عن مفهوم مقاصد الشريعة، ثم استعرض بعض المقاصد التي تغيَّاها الشريعة في العمل الخيري، مثل: الإكثار من العمل الخيري والتنويع فيه، وأن تخرج من أيدي أصحابه عن طيب نفس، والتعجيل بإيقاعه، وألا يكون العمل الخيري وسيلة لإضاعة مال الغير. ومما يجدر بالإلماح هنا، أنَّ الكاتب-

(١) مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠٠٨م.

(٢) مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠٠٨م.

في رأينا المتواضع- لم يتحدَّث عن المقاصد الشرعية الرئيسة للعمل الخيري، ولم يتطرق- أيضًا- إلىٰ تبيان دورها في الواقع المعاصر.

ويختلف بحثنا عنه في: كونه يجلِّي المقاصد الرئيسة للعمل الخيري كمقصد الحرية، ومكافحة مشكلة الفقر، وتحقيق السلم الاجتماعي والسلام العالمي، ودراستها في ضوء الواقع المعاش، وتحليلها من منظور نصوص الوحيَين.

وبعد استعراض لأهمِّ الدِّراسات السَّابقة التي استطاع الباحث الحصول عليها حول موضوع العمل الخيري، ظهر للباحث أنَّ هذا الموضوع يفتقر إلىٰ مزيدٍ من البحث، وتحديدًا في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، وتناوله تناولاً علميًّا دقيقًا. وهذا ما حَدا بالباحث للخوض في موضوعات هذا البحث.

خطة البحث:

يُقسم البحث وَفق القسمة المنطقية للأبحاث العلمية إلىٰ:

- **مقدمة**: وتتضمن إشكاليَّة البحث، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- **المبحث الأول: مفهوم العمل الخيري وتأصيله في الكتاب والسنة.**

- المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري.
- المطلب الثاني: تأصيل العمل الخيري في الكتاب والسنة.

- **المبحث الثاني: المقاصد الشرعية للعمل الخيري ودورها الحيوي في واقعنا المعاصر.**

- المطلب الأول: مقصد الحرية.
- المطلب الثاني: مقصد مكافحة مشكلة الفقر.
- المطلب الثالث: مقصد تحقيق السلم الاجتماعي والسلام العالمي.
- المطلب الرابع: مقصد المحافظة علىٰ الكليات الخمس.

- خاتمة (النتائج والتوصيات).
- المصادر والمراجع

واللهَ أدعو أن يتقبله بقبولٍ حسن، وينبته نباتًا حسنًا؛ وأن يجعله لوجهه الكريم خالصًا وأن ينفع به؛ إنه علىٰ كل شيء قدير.

الباحث

المبحث الأول

مفهوم العمل الخيري وتأصيله في الكتاب والسنة

يروم هذا المبحث التحدُّث عن مفهوم العمل الخيري في اصطلاح علماء المسلمين، ثم تأصيل العمل الخيري في ضوء الكتاب والسنة، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مفهوم العمل الخيري

لم ينتهض علماء الإسلام المتقدِّمين- حَسَب اطلاع الباحث- بتعريف العمل الخيري مركَّبًا؛ وذلك راجعٌ إلىٰ حداثة المصطلح من ناحيةٍ، واكتفاء هؤلاء العلماء بتعريف كل مفردةٍ علىٰ حِدةٍ، وكونه معروفًا عندهم في البيئة العلمية والاجتماعية.

وقد تباينت فهوم الباحثين المعاصرين في تعريف العمل الخيري؛ نزجي أهمها فيما يأتي:

- عرَّفه القرضاوي بأنه: «النفع المادي أو المعنوي الذي يقدِّمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلاً ماديًا... والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة... فضلاً عما يناله في الحياة من بركة وحياة طيبة،

وسكينةٍ نفسيةٍ»(١). كذلك، فإن العمل الخيري يحقق للقائم به زيادة ماله في الدنيا.

- يقصد بالعمل الخيري: «أعمال البر وصنائع المعروف التي يجود به المجتمع المدني، بدءًا من الفرد، ومرورًا بالجماعة، وانتهاءً إلىٰ المؤسسة. ولا يقتصر هذا العمل علىٰ جلب الموارد، وإدارة المال وصرفه في الوجوه المشروعة. وإنما يتعدّىٰ ذلك إلىٰ التخطيط لسبل الإنماء والتطوير بما يتاح من برامج ثقافية ودعوية وإعلامية»(٢).

- ومن تعريفاته أنه: «عمل يشترك فيه جماعة من الناس؛ لتحقيق مصلحة عامة، وأغراض إنسانية، أو دينية، أو علمية، أو صناعية، أو اقتصادية، بوسيلة جمع التبرعات وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية، بقصد نشاط اجتماعي، أو ثقافي، أو إغاثي»(٣). والملاحظ أن هذا الحدَّ ليس جامعًا لأفراد المعرَّف (العمل الخيري)، حَسَب معيار علم المنطق؛ ذلك أن التعريف حكَر العمل الخيري علىٰ الجماعة، بيد أن الفرد أيضًا ينهض بالعمل الخيري.

- ومن التعريفات الجيدة في هذا السياق أن العمل الخيري عبارة عن: «أية نشاطات للمساعدة والنجدة والتضامن والحماية والتنمية؛ لجماعات بشرية أو أفراد، خاصة المستضعفة من ضحايا الكوارث الطبيعية والنوائب الناجمة عن فعل بشري والأوضاع الاستثنائية والمظالم التي تحرم الأفراد والجماعات من الحقوق الإنسانية الأساسية فيما يضمن الكرامة الإنسانية وسلامة النفس والجسد».

(١) أصول العمل الخيري في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، يوسف القرضاوي، ص٢١.
(٢) قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، قطب الريسوني، ص٧.
(٣) العمل الخيري: دراسة تأصيلية تاريخية، محمد صالح جواد مهدي، ص٢١٢.

ويقصد بالتطوعي: الرغبة في عمل شيء من أجل الآخر وبتوفر العناصر التالية:

١- أن لا يكون مخالفًا للأنظمة والقوانين الدولية أو قوانين وأنظمة البلد الذي يتم فيه العمل ما لم تكن متعارضة مع المواثيق الدولية.

٢- أن لا يكون مخلاً بالأمن والسلام الدوليين.

٣- أن يقدم خدمات إنسانية أو تنموية أو بيئية.

٤- أن لا يهدف للربح[1].

التعريف المختار:

وفي ضوء ما سبق، فإن الباحث يعرِّف العمل الخيري بأنه: أي جهد أو وقتٍ أو عملٍ صالحٍ، يقدِّمه الفرد، أو الجماعة، دون مقابل مادِّي، من أجل إنقاذ المنكوبين، وإغاثة الملهوفين، وإغناء الفقراء والمساكين؛ لأجل إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، وتقدُّم المجتمع.

(١) مشروع الإعلان العالمي المتعلق بحقوق ومسؤوليات الأفراد والجماعات في العمل الخيري والإنساني، باريس، ١٠/ ١/ ٢٠٠٣، شوهد في ١/ ٥/ ٢٠١٨م، متاح على الموقع الإلكتروني الآتي:
https://saaid.net/Anshatah/dole/35.htm

المطلب الثاني
تأصيل العمل الخيري في الكتاب والسنة

تضافرت الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، علىٰ الدعوةٍ الصريحةٍ إلىٰ فعل الخيرات، وممارسة أعمال الصالحات، والحثِّ علىٰ ذلك حثًا بليغًا، فأوجب الإسلام العمل الخيري تارةً، واستحبّه أخرىٰ، وعدَّه من المقاصد الرئيسة. ونزجي أبرز الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ووجه الاستدلال بها، في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: الترغيب في العمل الخيري والترهيب من تركه:

يعدُّ العمل الخيري مقصِدًا أصيلاً من مقاصد الإسلام، وركنًا عريقًا في بناء الحضارة والعمران؛ من أجل ذلك، وردت كلمة (الخير) ١٨٠ مرةً في القرآن الكريم، ضمن سياقاتٍ مختلفة؛ تحريضًا للناس علىٰ العمل الخيري، في شتىٰ حقول الحياة.

فمن الآيات الآمرة بالعمل الخيري مطلقًا قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

موطِن الدليل: أن الآية أمرت بفعل الخيرات، وأبانت أن العمل الخيري من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة. كذلك، تومىء الآية إلىٰ أن المقصِد العام من العمل الخيري فعل الخير وتنشيطه وعولمته وشموله. يقول الثعالبي (ت٨٧٥هـ) في كلامٍ ناصعٍ: «وهذه الآية الكريمة عامة في أنواع الخيرات، ومن أعظمها: الرأفة

والشفقة علىٰ خلق الله، ومواساة الفقراء وأهل الحاجة»(١).

كذلك، دعا القرآن الكريم إلىٰ المسارعة إلىٰ العمل الخيري في جميع الظروف والأحوال، وأن الله تعالىٰ يحبُّ القائم بالعمل الخيري فيقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

ومن ناحيةٍ أخرىٰ، فقد أوجب الإسلام علىٰ أفراد المجتمع التعاون علىٰ العمل الخيري، والمساهمة في أدائه وتطويره وتنميته، فقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢].

كذلك جلّىٰ القرآن الكريم أنَّ العمل الخيري من سنن الأنبياء، وينبثق من الفطرة السليمة، فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقد كشف كتاب الرحمن أن المسارعة إلىٰ العمل الخيري عاملٌ فعّال في قبول الدعاء، ونيل الذرية الطيبة، وإصلاح مؤسسة الأسرة التي يتكون منها المجتمع الإنساني. قال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أضِف إلىٰ ما سبق، أنَّ الله تعالىٰ طَمأن القائم بالعمل الخيري علىٰ أنَّ عمله لن يذهب سُدىً وعبثًا، بل سيخلِفه الله تعالىٰ ويضاعِفه وينمِّيه حسب مشيئته. فقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج٣، ص٨٣.

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

وفي هذا السياق، يقول الرسول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول: أحدهما اللهم أعطِ منفقًا خلفًا. ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا**»(١). ويجلّي النووي (ت٦٧٦ه) أن مغزىٰ الحديث: «هذا في الإنفاق في الطاعات، ومكارم الأخلاق، وعلىٰ العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك، بحيث لا يُذم ولا يسمىٰ سرفًا. والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا»(٢).

وقد أبان الرسول ﷺ أهمية العمل الخيري في الرؤية الإسلاميَّة، وأوضح أنواعه، وجلَّىٰ تنوع أبوابه، وتعدُّد مشاربه بقوله: «**أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس. وأحب الأعمال إلىٰ الله سرور تدخِله علىٰ مسلم، أو تكشِف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا. ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** -يعني مسجد المدينة- **شهرًا**»(٣).

وإذا استبان هذا، ووضح وجهه، فقد عدَّ الإسلام مجرَّد الإرشاد إلىٰ العمل الخيري كفاعل الخير في الأجر؛ توسعةً لدائرة العمل الخيري، وحثًا علىٰ المساهمة فيه، كلٌ حَسَب طاقته ووسعه. فقال ﷺ: «**من دلَّ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: أجر المرأة إذا تصدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة، ج٢، ص١١٤، رقم(١٤٤٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٧، ص٩٥.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ج٦، ص١٣٩، رقم (٦٠٢٦). قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سُكين بن سراج، وهو ضعيف». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٨، ص١٢١.

علىٰ خير، فله مثل أجر فاعله»(١).

ومن جهةٍ أخرىٰ، فقد ذمَّ القرآن الكريم مانع العمل الخيري، وعدّه صفةً ذميمةً وقبيحةً، فقال: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق: ٢٥]. والملاحظ، أن الله تعالىٰ قد استخدم صيغة المبالغة (منَّاع) علىٰ وزن (فعَّال)، وقد تقرَّر في علم البلاغة أن صيغ المبالغة تدلُّ علىٰ الكثرة. أي: كثير المنع للعمل الخيري، فلا يفعله بنفسه، ولا يدع الآخرين يقومون به.

كذلك شنَّع القرآن الكريم علىٰ أولئك الذين لا يحضون علىٰ العمل الخيري، ومنه إكرام اليتيم، وإطعام المسكين، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ – ١٨]. وهاتان الآيتان تحذِّران من صدِّ الناس عن العمل الخيري، وأن هاته الصفة لا تتناغم مع المسلم الصادق.

وما سبق من التأصيل الشرعي للعمل الخيري في الإسلام قليل من كثير، وصُبابة من غدير؛ ذلك أن في حياض الإسلام، وحلبة الشريعة أدلة أكثر، وبراهين أزيد، ترسِّخ لأصالة وعراقة العمل الخيري، في الرؤية الإسلامية.

الفرع الثاني: تنوُّع وتعدُّد أبواب العمل الخيري

مما يؤصِّل للعمل الخيري، تنوُّع أبوابه، وكثرة مسالكه، وتعدُّد مشاربه، من منظورٍ إسلامي. وإن نظرةً ثاقبةً إلىٰ الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تجلِّي هذا التنوع، وتلك الكثرة؛ ذلك أن من مميزات

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، ج٦، ص٤١، رقم (٥٠٠٧).

العمل الخيري في الرؤية الإسلامية هو الشمول والتنوع.

ومن هنا، فقد نوَّع الإسلام وتعدَّد من أبواب العمل الخيري، وأعلن نبي الإسلام محمد ﷺ بأن: «**كل معروف صدقة**»(١). ويشمل المعروف كل ما عُلم من عبادة الله تعالىٰ وطاعته والاقتراب منه، والإحسانِ إلىٰ الإنسان، وتشمل كذلك جميع ما دعا إليه الشَّرع من الأمور الحسنة، ونهىٰ عنه من الأمور السيئة، والمعروفُ: ما عُرف بين الناس بحيث إذا رأوه لا يقومون بإنكاره. ونقيضُ جميعِ ما سبق هو المنكرُ(٢)، وإنما سمي معروفًا؛ لسكون النَّفس إليه(٣).

كذلك، رغَّب الإسلام في الصدقة الجارية (الأحباس والأوقاف) التي تستمرُّ خيراتها، وتدوم غلاَّتها، في حياة المتصدق وبعد مماته، فهي صدقة لا تنقطع منافعها، وقد جلاَّها رسول الله ﷺ بقوله: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**»(٤).

وقد ربط الإسلام العمل الخيري بالكفارات؛ إذ أوجب في عديدٍ من الكفارات إنفاق المال، وإطعامه، وإعتاق العبيد، مثل: كفارة اليمين المنعقد، وكفارة الظهار، وغير ذلك.

ومن أبواب الخير في الإسلام، الوقف، وهو: «عبارة عن حبس العين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: كل معروف صدقة، ج٨، ص١١، رقم (٦٠٢١).
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٩، ص٢٤٠.
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤، ص٢٨١.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأحكام، باب في الوقف، ج٣، ص٦٥٢، رقم (١٣٧٦). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

علىٰ ملك الواقف والتصدق بالمنافع علىٰ الفقراء مع بقاء العين»[1].
ومن هنا، فإنَّ مؤسَّسة الوقف في مِظلَّة الحضارة الإسلامية قد لعبت دورًا متوقِّدًا ونشيطًا في العطاء والتكافل الاجتماعي، وفلسفة الوقف تقوم علىٰ إيجاد موارد مالية ثابتة؛ من أجل إسعاف ضرورات وحاجات المجتمع، من الناحية الدينية والاقتصادية والصحية والأمنية والتربوية والتعليمية والغذائية، وتمتين العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع. ومن المقاصد الرئيسة للمنظومة الوقفية أيضًا تجهيز الوسائل الضرورية لجعل الأمة قوية قادرة علىٰ الذبِّ عن كيانها ودينها، وتحقيق مقصد السكن لأفراد المجتمع، والأمن الغذائي للمجتمع المسلم، ومقصد نشر الدعوة الإسلامية وغير ذلك.

وهناك الصدقة النفسية التي لها آثارٌ فعَّالة ومحكمة في العلاج النفسي والسلوكي، ولا تقِلُّ أبدًا عن الصدقات الأخرىٰ، لاسيما في عصرنا الذي تكاثرت فيه الأمراض القلبية والنفسية، فالعمل الخيري ضمن هذا المضمار، يخفِّف من التمحور حول الذات، ويساهم في التخلّص من القلق والاكتئاب والاضطرابات النفسية. قال ﷺ: «**تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة. وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة. وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة. وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة. وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة. وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة**»[2].

ومن روائع الإسلام- أيضًا- الاعتناء بالعمل الخيري في حقل البيئة

(١) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، القونوي، ص٧٠.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في صنائع المعروف، ج٤، ص٣٣٩، رقم (١٩٥٦) وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

كما يتبدَّىٰ من قوله ﷺ: «**وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة**»(١).

وغير ذلك من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الدالة علىٰ عظيم الاعتناء بالجانب البيئي؛ قصد الحصول علىٰ بيئةٍ نظيفةٍ وصحيةٍ نائيةٍ عن الجراثيم الضارة، والأسقام الفتاكة، وما أكثرها في واقعنا المعاصر. وعلىٰ هذا، وجب تفعيل الدور الريادي للعمل الخيري في المنظومة البيئية في العصر الحاضر؛ لأجل تقديم بيئةٍ سليمةٍ للإنسان.

وقد اضطلع القرضاوي بإحصاء أبواب العمل الخيري، فأوصلها إلىٰ (٦٣) بابًا، ودلَّل عليها في الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية، نزجي أبرز تلك الأبواب باقتضابٍ، وهي:

١- إطعام الجائع. ٢- سقاية العطشان. ٣- كسوة العريان. ٤- إيواء المشرَّد. ٥- كفالة اليتيم. ٥- رعاية الأرملة. ٦- إيتاء المسكين حقه والحض علىٰ إطعامه.٧- رعاية الطفولة. ٨- رعاية الأمومة والأبوة. ٩- إيتاء ذي القربىٰ.١٠- الإحسان إلىٰ الجيران. ١١- قِرىٰ الضيف. ١٢- رعاية الشيخوخة والمسنِّين.١٣- رعاية المعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة. ١٤- إدخال السرور في قلب المحزونين. ١٥- إغاثة الملهوفين والمنكوبين بالزلازل وغيرها. ١٦- تزويج الأيامىٰ. ١٧- محو الأمية. ١٨- مكافحة البطالة وتشغيل العاطل. ١٩- نشر العلم النافع. ٢٠- الإحسان إلىٰ البيئة. ٢١- الإحسان إلىٰ الحيوان وغير ذلك(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) أصول العمل الخيري في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، يوسف القرضاوي، ص٤٩-١٠٠.

ولم يفُت ابن عاشورٍ استجلاء أن التكثير من العمل الخيري مقصد إسلامي، وأن أدلة الشريعة رغبت فيها؛ ذلك أن العمل الخيري يحقق مصالح عامة وخاصة، وأن شُح النفوس قد كان حائلاً دون تحصيل كثير من العمل الخيري[1].

وإذا اتضح هذا واستبان وجهه، فإن **الباحث** يستيقِنُ بأن العمل الخيري يغطِّي جميع مجالات حياة الإنسان وعالم الحيوانات، والمنظومةَ الكونية كلَّها، شرطَ توعية المسلمين بالقيام به والتنافس في مضاميره، ونتيجةً لذلك، يضحىٰ الإنسان قمينًا بالخلافة في الأرض.

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٤٨٨.

المبحث الثاني
المقاصد الشرعيَّة للعمل الخيري
ودورها الحيوي في واقعنا المعاصر

يرنو هذا المبحث التحدث عن أبرز المقاصد الشرعية للعمل الخيري، واستجلاء دورها الحيوي في الوقت الحاضر، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مقصِد الحرية

لقد جاء الإسلام من أجل تحرير الإنسان من أغلال عبوديَّة العباد إلىٰ عبادة ربِّ العباد، وتقرير الحرية الإنسانية، وتثبيت كيان الإنسان وترسيخ حقوقه وكرامته، فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولم يغِب عن شيخ المقاصد الشاطبي (ت٧٩٠هـ) تجلية هذا المقصِد الرئيس من مقاصد الإسلام، فبيَّن أنَّ: «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتىٰ يكون عبدًا لله اختيارًا، كما

هو عبد لله اضطرارًا»[1]. أي: الرجوع إلىٰ الله في جميع الأحوال، والانقياد إلىٰ أحكامه علىٰ كل حال، وهو معنىٰ التعبد لله[2]. ومن هنا، عُدَّ توفير الحرية الشخصية والكرامة للإنسان تحقيقًا لمعنىٰ التكريم الذي اختص الله به الإنسان تكميلاً لمقصِد حفظ النفس؛ لأن الإنسان ليس جسدًا ماديًا فحسب، بل كيان روحي معنوي نفسي أيضًا[3].

ومن أجل تأكيد مقصد الحرية، فقد ربط الإسلام العمل الخيري بمفهوم الحرية؛ قصد تحرير النفس الإنسانية من جميع القيود التي تعرقِل حركتها، وتصدُّ تزكيتها، وعدَّ الحرية جزءًا لا يتجزأ من العمل الخيري. «فالعمل الخيري عندما يكون عطاء بلا مقابل مادي هو تحرير للنفس: إما من قيد الأثرة وحب التملك، أو من قيود الآثام واجتراح الخطايا، أو من قيد الكبر واستعلاء النفس علىٰ الآخرين»[4].

إلا أننا نلفي نقيض ذلك في الفلسفة الوضعية؛ إذ فلاسفة الأنوار في عهد النهضة أمثال توماس هوبز، وبنثام وغيرهما لم يتحدثوا عن مفهوم (الخير)، أو (الخير العام)؛ ذلك أنهم ركزوا علىٰ (اللذة) و(المنفعة) الفردية، وأن كل شيء يجب أن يقاس قبل كل شيء بحاجة الفرد. كذلك فإن منطق العمل الخيري بلا مقابل يصطدم مع المنظور الرأسمالي الحديث بشكل عام[5]. بيدَ أن النظام الاقتصادي في الإسلام قرَّر أن العمل الخيري تبرعٌ وإحسانٌ وإرفاقٌ بالطبقة المحتاجة والفئة الفقيرة في

(١) الموافقات في أصول الشريعة، ج٢، ص٢٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩٠.
(٣) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين عطية، ص١٤٣.
(٤) العمل الخيري: مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، إبراهيم البيوني غانم، مجلة حراء، شوهد في ٢٠/ ٦/ ٢٠١٨، متاح علىٰ الموقع الإلكتروني الآتي: https: / /hiragate.com.
(٥) المصدر نفسه.

المجتمع، ويجزي الله تعالىٰ القائم به يوم القيامة، كذلك، يبارك الله تعالىٰ في ماله وأملاكه في الحياة الدنيا. أضِف إلىٰ ما سبق، أن العمل الخيري أداةٌ قويمةٌ في تحرير النفس الإنسانية من شتىٰ الأمراض القلبية المعنوية مثل: داء الكبر والاستعلاء والإعجاب بالنفس والغرور وحبِّ الدنيا. كذلك، فإن العمل الخيري من وسائل انشراح الصدور، وهناءة العيش، وراحة النفس، ونيل السعادة. ووجه ذلك: أن القائم بالعمل الخيري يشعر بامتثاله لأوامر الله تعالىٰ، واستجابة ندائه، والتحرر من تقديس المال، والإسهام في إدخال السرور والبهجة علىٰ الطبقات الضعيفة في المجتمع.

وتأسيسًا علىٰ ما سلف، ينبغي أن يلعب العمل الخيري في الوقت الحاضر دورًا رائدًا في استئصال شأفة الاسترقاق والاستعباد بشتىٰ أنواعه العقلي والفكري والنفسي، ويسعىٰ جاهدًا من أجل تحقيق مقصِد الحرية للإنسان. ومن هنا، قرَّر الفقهاء القاعدة الفقهية: «الشارع متشوِّف للحرية»[1]، وذلك بحجة استقراء وتتبُّع تصرفات الشريعة التي دلّت علىٰ أن من أهم مقاصدها إبطالَ العبودية، وتعميمَ الحرية، وكذلك ما يتعلق بأصول الناس في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم، متصرفين في أحوالهم التي يخوّلهم الشرعُ التصرف فيها غيرَ وجلين ولا خائفين أحداً[2].

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص٣٩١ .
(٢) المصدر نفسه، ٣٩٥-٣٩٦.

المطلب الثاني
مقصد مكافحة مشكلة الفقر

يعدُّ الفقر مشكلةً اقتصادية، ومعضلةً اجتماعيةً، تئنُّ منها المجتمعات، في القديم والحديث، والعلة في ذلك، تعود إلىٰ أسبابٍ جمَّة، من أبرزها: الظلم، وانعدام العدالة الاجتماعية، وسوء توزيع الثروة. من هنا، فقد جاهد كلُّ الأديان السماوية، والأنظمة الوضعية، وسعت جميع الفلسفات، كلٌ حسب اتجاهه، إلىٰ مكافحة الفقر، والتقليل من آثاره وموجَباته الخطيرة علىٰ المجتمع، بيدَ أن تلك الجهود لم تؤتِ ثمارها المرجوَّة؛ إذ خالطتها أهواء البشر، واختلطتها المنفعة الذاتية، وتفضيل المصلحة الخاصة.

ومما يُؤسف له، أن الفقر يعدُّ من أهم التحديات التي تواجه العالم الإسلامي؛ إذ علىٰ مستوىٰ العالم يعيش نحو ١٫٣ مليار إنسان تحت خط الفقر. وفي العالم الإسلامي يعيش ٣٧٪ من السكان تحت مستوىٰ خط الفقر، أي: ما يعادل ٥٠٤ ملايين شخص تقريبًا، وتبلغ نسبتهم إلىٰ فقراء العالم ٣٩٪ (١).

(١) حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات، أسماء ملكاوي، شوهد في ١٢/ ٧/ ٢٠١٨، متاح علىٰ الموقع الإلكتروني الآتي:
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c73b7204-f2e5-4083-9476-9908b7e5bf64

إلا أن الإسلام سعىٰ سعيًا دؤوبًا من أجل القضاء علىٰ مشكلة الفقر، والتخفيف من تداعياته الجسيمة، في جميع حلائب الحياة، وعدَّ ذلك مقصدًا من مقاصده المنيفة، فقد سلك الإسلام مسالك شتىٰ؛ قصد الوصول إلىٰ هذا المبتغىٰ، ينجلي ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: امتنان الله تعالىٰ علىٰ رسوله محمد ﷺ بنعمة الغنىٰ بعد الفقر، أمارةٌ علىٰ أن القضاء علىٰ مشكلة الفقر مقصد إسلامي، قال تعالىٰ: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحىٰ: ٨]. كذلك، علمنا الرسول ﷺ أن نستعيذ بالله تعالىٰ من مشكلة الفقر، وأن ندعو الله تعالىٰ بهذا الدعاء: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**»(١). والملاحظ، أن الرسول ﷺ قد جمع بين الكفر والفقر، في إشارةٍ جليةٍ، إلىٰ خطورة الفقر، وأنه عاملٌ بارزٌ للوقوع في الكفر، وجميع المفاسد والمهالك والجرائم.

ثانيا: يعدُّ الفقر خطرًا أكيدًا علىٰ عقيدة الإنسان وأخلاقه؛ لذا ورد: «كاد الفقر أن يكون كفرًا»(٢). كذلك، قد يفضي الفقر إلىٰ الأخلاق السيئة مثل الفواحش، إذا لم يكن الفقير متحليًا بالصبر، ومحتسبًا للأجر، وراضيًا بما قسمه الله تعالىٰ له.

ثالثًا: الحث علىٰ العمل- وهو أحد وسائل الإنتاج في الاقتصاد- والترغيب في السعي في طلب الرزق والمال، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]. ويقول الرسول ﷺ: «**ما أكل أحد طعامًا قط**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، ج١، ص٩٠، رقم (٩٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص: «علىٰ شرط مسلم».

(٢) ضعفه الألباني في كتابه: «تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام». ص٩.

خيرًا من أن يأكل من عمل يده»[1]. وعلىٰ هذا، فلم يجوِّز الإسلام للفرد أو الدولة أن تمسي عالةً علىٰ الآخرين، بل رغبهم في الاستثمار والعمل والبناء والعمران.

رابعًا: إن تطبيق زكاة المال، والصدقات، والعمل الخيري، ونظام التكافل الاجتماعي من العلاجات الرئيسة للقضاء علىٰ مشكلة الفقر كما يقول الرسول ﷺ: «**إن الله فرض علىٰ أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم. ولن تجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يضيع أغنياؤهم. ألا وإن الله عز وجل يحاسبهم يوم القيامة حسابًا شديدًا ثم يعذبهم عذابًا أليمًا**»[2]. وقد نقل الجويني (ت٤٧٨ه) عن الشافعي (ت٢٠٤ه) أنه قال بأسلوبه الماتِع: «المقصود من الزكاة إنما هو سدُّ الخلات ودفع الجوعات، وردُّ الفاقات والإحسان إلىٰ الفقراء، وإغاثة الملهوفين، وإحياء المَهج، وتدارك الحُشاشة والجثث»[3]. وقد جلَّىٰ الشافعي هنا فلسفة تشريع الزكاة وأسرارها وأثرها العميق في علاج مشكلة الفقر في المجتمع.

وثمة كلمةٌ لابن القيم (ت٧٥١ه) يُستضاء به في هذا السياق، وهي أن: «الله سبحانه قسم خلقه إلىٰ غني وفقير، ولا تتم مصالحهم إلا بسدِّ خَلّة الفقير، فأوجب سبحانه في فضول أموال الأغنياء ما يسد به خلّة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، ج٣، ص٥٧، رقم (٢٠٧٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، ج١، ص٢٧٥، رقم (٤٥٣). قال الهيثمي: «ثابت من رجال الصحيح، وبقية رجاله وثقوا، وفيهم كلام» مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٣، ص٨٩.

(٣) مغيث الخلق، الجويني، ص٦٠. الحُشاشة، أي: بقية الروح في المريض، لسان العرب، ج٢،ص٨٨٦.

الفقراء»[1].

ويلوح للباحث أن علاج مشكلة الفقر في ضوء العمل الخيري يبرز فيما يأتي:

١. انتهاض المؤسسات الخيرية بالتعاون مع الحكومات، بإجراء المشروعات الاستثمارية؛ من أجل تأمين حدِّ الكفاية للفقراء.

٢. اضطلاع الجمعيات الخيرية مع الحكومات، بإيجاد فرص العمل للفقراء؛ قصد تحويلهم من أشخاص عاطلِين مستهلِكين إلىٰ عامِلين منتجِين؛ فلا يمسوا عالةً علىٰ الآخرين.

٣. قيام القطاع الخاص المتمثل بالشركات ورجال الأعمال وغيرهم بمساعدة الفقراء، وذلك بفتح مراكز خيرية، في مختلف شؤون الحياة للطبقة الفقيرة.

٤. إسهام المؤسسات الخيرية في تحقيق الاكتفاء الذاتي، في العالم الإسلامي، ضمن فروض الكفايات، وذلك بتمويل واستثمار المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية، وحث المسلمين علىٰ الوقف في هذا المضمار؛ كيلا تضحىٰ الأمة عالةً علىٰ غيرها من الأمم ومتطفِّلاً عليهم، لاسيما في المجال الغذائي والحربي. وقمينٌ بأمة ترتكز علىٰ نفسها أن تعيش حرةً مستقلة في قراراتها. وما أحوج المسلمين إلىٰ هذا الاكتفاء الذاتي في الوقت الحاضر!!

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٣، ٢١٩.

المطلب الثالث

مقصد تحقيق السلم الاجتماعي والسلام العالمي

لقد سعىٰ الإسلام إلىٰ تثبيت ركائز السلم الاجتماعي في المجتمع، والسلام العالمي في العالم. ومن جماليات الإسلام، أنه لم يميز بين المسلم وغيره، في العمل الخيري، «فالمسلم يقدم الخير والعون لكل من هو في حاجة إليه، سواء كان قريبًا أم بعيدًا، صديقًا أم عدوًا، مسلمًا أم كافرًا، إنسانًا أم حيوانًا»(١).

ويعد نشر روح التآخي والتراحم والتكاتف والتعاون والتعايش- وهي مصاديق العمل الخيري- في المجتمع من المصالح المعتبرة، والمقاصد الجليلة، التي سعىٰ الإسلام إلىٰ تحقيقها ورَعيها، يقول ابن عاشور (ت١٣٩٣ه): «عقود التبرعات قائمة علىٰ أساس المواساة بين أفراد الأمة، الخادمة لمعنىٰ الأخوة؛ فهي مصلحة حاجية جليلة، وأثر خُلُقٍ إسلامي جميل، فبها حصلت مساعفة المعوزين، وإغناء المقترين، وإقامة الجمِّ من مصالح المسلمين»(٢).

وقد ثبت بالاستقراء أن (السلام) مقصدٌ مُنيفٌ من مقاصد الإسلام(٣)، وأن من يتأمَّل في العلاقة الوطيدة بين الإسلام والسلام لينـدهش أمام إلحاح الإسلام علىٰ تحقيق السلام العالمي، والتعايش في

(١) أصول العمل الخيري في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، يوسف القرضاوي، ص٣٥.
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص٤٨٧.
(٣) تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، عبدالله بن بيه، ص٣٠.

ظل التنوع؛ إذ سلك كل مسلكٍ صحيح لتأمين ذلك، حتىٰ أن الله – سبحانه- أمر المسلمين بالجنوح إلىٰ المسالمة والسلم والسلام مباشرةً إذا جنح إليها العدو، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

ويضطلع العمل الخيري في نظر **الباحث** بأداء رائع في المساهمة الفعالة في تثبيت مقومات السلم الاجتماعي والسلام العالمي في المجتمعات الإنسانية، ولاسيما في واقعنا المعاصر، وذلك من خلال قنواتٍ قويمةٍ لها صلة وثقىٰ بالأمن المجتمعي والسلام العالمي، وعلىٰ الشكل الآتي:

- رعاية أطفال الشوارع وحمايتهم من الانحرافات الاجتماعية والوقوع في مستنقع الجرائم.
- مساعدة الفقراء والمساكين للوقاية من ظاهرة التسول والتشرد.
- كذلك المساعدة في حالات الآيات الكونية(١) مثل الزلازل والأعاصير والفيضانات والسيول.
- التصدي للأفكار الإرهابية، والأيديولوجيات المتطرفة، والمذاهب الإلحادية، وشبهات المستشرقين والقرآنيين.
- تقريب الفجوة بين طبقات المجتمع، لاسيما الغنية والفقيرة.
- وقاية المجتمع من الثورات والانهيارات، وتخصيصًا (ثورات الجياع) التي تهدِّد استقرار المجتمعات، وما أكثر تلكم الثورات والانتفاضات الشعبية في واقعنا المعاصر، وعلىٰ تراخي العصور!

(١) يرىٰ الباحث أن هذا المصطلح أقرب إلىٰ الرؤية الإسلامية من المصطلح الشائع (الكوارث الطبيعية)، يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩].

المطلب الرابع
مقصد حفظ الكليات الخمس

تعدّ المحافظة على الكليات الخمس مقصدًا شرعيًا يسعى العمل الخيري إلى المحافظة عليها وتنميتها، يقول الشاطبي (ت٧٩٠هـ): «اتفقت الأمة- بل سائر الملل- على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس- وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل- وعلمها عند الأمة كالضروري»[1]. نوضح ذلك في الأفرع الآتية:

الفرع الأول: مقصد حفظ الدين

يلعب العمل الخيري دورًا بارزًا في المحافظة على مقصد الدين، وذلك من خلال تشييد المساجد وترميمها وإمدادها بالخطباء والأئمة والمؤذنين والخادمين. كذلك، تأسيس المراكز الدعوية التي تنتهض بمهامِّ الدعوة إلى الله تعالى، وفتح دوراتٍ تأهيلية لإعداد الدعاة. ومساندة الجامعات والكليات الإسلامية تأسيسًا وبقاء وتطويرًا؛ من أجل نشر العلم الشرعي الصحيح. والتصدي للأفكار الهدّامة والمذاهب الرديَّة -وما أكثرها في واقعنا المعاصر- التي تشكِّك في ثوابت الإسلام وكليَّاته، وتثير الشبهات حوله مثل القرآنيين والمستشرقين.

(١) الموافقات في أصول الشريعة، ج١، ص٣١.

ومما يجدر بالإلماح هنا، أن بناء المساجد وعظيم فضله أمرٌ لا ينكره أحد في الإسلام، وفيه حفظ حياض الدين، بيد أننا في الوقت الحاضر ينبغي مع الاهتمام ببناء المسجد أن نراعي بناء الإنسان الذي يعمر المساجد، وذلك ببناء جسده صحيًا، وفكره وسطيًا معتدِلاً، وعلمه نافعًا.

الفرع الثاني: مقصد حفظ النفس

يساهم العمل الخيري إسهامًا بالغًا في المحافظة على النفس الإنسانية، وذلك بتأمين احتياجات الطبقة الفقيرة من مطعمٍ ومشربٍ وملبسٍ ومسكنٍ وأدويةٍ من خلال الصدقات الإلزامية والتطوعية. كذلك، يسعى العمل الخيري إلى تقديم مساعداتٍ إغاثيةٍ من الأطعمة والأدوية والكساء للمتضررين في أوقات الكوارث مثل الزلازل والفيضانات والحروب.

ومما يجدر بالإلماع هنا، ازدياد عدد اللاجئين والنازحين، في وقتنا الحاضر، لا سيما في العالم الإسلامي، مثل: سوريا، والعراق وفلسطين وغير ذلك، بسبب الحروب والنزاعات الطائفية. وإن القلب ليتفطر حزنًا وأسىً حين يشاهد تلك المعاناة الأليمة التي يتجرَّعها أولئك اللاجئون والنازحون في المخيَّمات التي لا تسمِن ولا تغني من جوع، لاسيما فئة الأطفال. ومن هنا، ومن باب فقه المقاصد، وميزان الأولويات، ينبغي أن يضحى الاهتمام باللاجئين والنازحين، من أولويَّات العمل الخيري؛ ذلك أنهم يعانون من الجوع والخوف، والحرمان من التعليم والتربية والمستلزمات الصحية. وتوفير هاته الأمور ضروريةٌ لحياة أي إنسانٍ.

الفرع الثالث: مقصِد حفظ العقل

يبرز دور العمل الخيري في مقصد المحافظة علىٰ العقل من خلال الوقف علىٰ المؤسسات التعليمية والتربوية ومراكز الدعوة والإرشاد، وتزويدها بكل ما تفتقر إليه من الطاقات الإنسانية، والموارد المالية[1]. فينبغي للمؤسسات الخيرية أن تكترث بالحقل التربوي والتعليمي، وذلك بتشييد المؤسسات التعليمية والتربوية الخيرية اللاربحية بدءًا برياض الأطفال وانتهاءً بالجامعة، ورعاية الأنشطة التعليمية. كذلك تمويل تعليم أولاد الفقراء، والعمل علىٰ محو الأمية التي يئنُّ منها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، وذلك بالإسهام النشيط في برامج محو الأمية؛ حتىٰ تنتفع بها فئات المجتمع، بمن فيها المهجرون، واللاجئون، والأطفال؛ ذلك، أن أمة القراءة لا يمكن أن تبقىٰ نسب الأمية فيها مرتفعةً، كما هو الشأن في عديدٍ من بلدان العالم الإسلامي في وقتنا[2]. وأيضًا، الإسهام الفعال في مكافحة المسكرات والمخدرات وما يخمر العقل ويخرجه من أداء وظيفته.

ولترسيخ العمل الخيري في حقل المحافظة علىٰ العقل، فإن الباحث يقترح القيام بما يأتي:

- انتهاض وزارات التربية بتأسيس روح المشاركة والتعاون في

(١) ينظر: العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، تمام عودة العساف، محمد حسن أبو يحيىٰ، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، ص٩٤.

(٢) حسب إحصائية المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) عام (٢٠١٤م) فإن نسبة الأمية في العالم الإسلامي بلغت نحو ٤٠٪ في صفوف الذكور و٦٥٪ في صفوف الإناث. نصف سكان العالم الإسلامي أميون، شوهد في١٤/٧/٢٠١٨، الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net/news/miscellaneous/2014/9/5

ريـاض الأطفـال وذلـك بـانخراط الأطفـال في الألعـاب الجماعيـة، وتقـديم أشياء بسيطة لزملائهم.

- قيـام وزارات التربيـة والتعلـيم العـالي بتـدريب الطـلاب علـىٰ العمـل الخيـري وذلـك بغـرس الأشـجار، وسـقايتها ورعيهـا. كـذلك، المسـاهمة في تنظيـف المـدارس والجامعـات والمعاهـد. والقيـام بحمـلات لجمـع التبرعات؛ دعمًا للمشروعات الصغيرة.

- قيـام الطـلاب المتفـوقين والنـاجحين بمسـاعدة الطـلاب الراسـبين في الدراسة.

واسـتكمالاً لمـا سـبق، فـإن مراعـاة فقـه الموازنـات أمـرٌ ضـروري جـدًا في دائـرة العمـل الخيـري، بـدءًا بالضـروريات، ثـم الحاجيـات، ثـم التحسـينات. مثـال ذلـك: إنشـاء مـدارس ومعاهـد وجامعـاتٍ متطـورة ينبغـي أن يضـحىٰ مـن أولويَّـات العمـل الخيـري في واقعنـا المعاصـر؛ ذلـك أن هاتـه المؤسسـات تؤهـل الطـلاب للإبـداع والإنتـاج ونفـع مجتمعـاتهم. كـذلك، إنشـاء مراكـز الأبحـاث والدراسـات؛ لأن المجتمعـاتِ إنمـا تقـدمت وازدهـرت؛ ارتكـازًا علىٰ نتائج الأبحاث والدراسات في شتىٰ حقول الحياة.

ولا مندوحـةَ هنـا مـن الإشـارة إلـىٰ أن مـن أولويَّـات العمـل الخيـري ينبغـي أن يكـون الاعتنـاء بوسـائل الإعـلام المختلفـة، وذلـك بـدعم القنـوات الفضـائية النافعـة، ومواقـع الإنترنـت المفيـدة، وطباعـة الكتـب النافعـة. وجـه ذلـك: أنَّ الإعـلام في الوقـت الـراهن يلعـب دورًا متوقِّـدًا في توجيـه الأفـراد والمجتمـع، وصـياغة العقـول، وتربيـة الأجيـال، ويُقـال: «**مـن يملـك الإعـلام، يملـك العـالَم**». مـن هنـا، فـإن وسـائل الإعـلام ينبغـي أن تلفـت الأنظـار والـرأي العـام إلـىٰ أن العمـل الخيـري مـن أبـرز الأعمـدة الرئيسـة للتنميـة البشـرية والاجتماعيـة، وأن المجتمـع لـن يتقـدَّم بـدون الأنشـطة الخيريـة في شـتىٰ ميـادين الحيـاة. وأن ينـتهض الإعـلام بـدحض الشـبهات المثـارة حـول

العمل الخيري الإسلامي من حيث اتهامُه بتمويل الإرهاب والتطرف، ومن ثَمَّ، إغلاق أبوابه، وتجفيف منابعه. كذلك، علىٰ وسائل الإعلام استجلاء الجهود الناجعة والتجارب الرشيدة في مضمار العمل الخيري؛ تقديمًا للأسوة الحسنة وتثمينًا لتلكم الجهود المبذولة، وذلك مثل جهود المملكة العربية السعودية المتمثلة في مؤسساتها الخيرية ذات المكانة السامقة فيما تقدِّمه من أعمال خيريةٍ وأنشطة تطوعيةٍ ضمن المملكة وخارجها، فينتفع بها المسلمون وغيرهم في أصقاع العالم(١). ومتابعة الأعمال الخيرية بالنقد الموضوعي؛ إشادةً بالإيجابيات، وترميمًا للسلبيات. وعلىٰ وسائل الإعلام، حفظ عقل الأمة من التأثيرات السلبية لمعظم برامج الإعلام المختلفة التي تقوم بعمليات غسيل المخ بشكل جماعي، وتحاصر العقول فلا تعطيها إلا ما تريد من أخبار وتحليلات، وإضاعة الأوقات النفيسة، وإهدار طاقات وكفاءات شباب المسلمين(٢). وبالجملة، فإن الإعلام يجب أن يدرك بأنه عامل رئيسٌ في ازدياد الأعمال الخيرية وزيادة القائمين بها.

(١) يبلغ عدد الجمعيات الخيرية العاملة داخل المملكة العربية السعودية (٢٤٥) جمعية، من أبرزها: مؤسسة الملك خالد بن عبدالعزيز الخيرية، ومؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية، ومشروع الأمير سلمان للإسكان الخيري بالرياض. وثمة في خارج المملكة جمعيات عديدة، منها: مؤسسة الحرمين الخيرية، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ورابطة العالم الإسلامي. ينظر: العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، معلوي بن عبدالله الشهراني، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٦م، ص٢٦-٢٧.

(٢) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص١٦١.

الفرع الرابع: مقصد حفظ المال

إن من الوسائل التي ترمي إلىٰ المحافظة علىٰ مقصد المال في الأعمال الخيرية التطوعية: ترويض أبناء المسلمين الفقراء وتدريبهم وتأهيلهم؛ من أجل تأسيس المشاريع التنموية الزراعية، وتعليمهم الحِرف والمهن التي تعود بالنفع عليهم وعلىٰ أسرهم ومجتمعهم، وما يحتاجها سوق العمل؛ قصد التمكُّن من المحافظة علىٰ المال واستنمائه؛ إعمارًا للأرض، ومساهمةً في انتعاش المجتمع.

وتحقيقًا لمقصد حفظ المال، وضمن دائرة العمل الخيري، فقد بلغ اعتناء الإسلام بالحفاظ علىٰ كليَّة المال أن عدَّ الإنفاق في سبيل الله عبارةً عن الطلب، فكلما زاد الطلب الكلي علىٰ السلع والخدمات، كلما أفضىٰ ذلك إلىٰ الاستثمار والإنتاج، ونتيجةً لذلك، تزداد العمالة، وترفع أجور العمال. وبنظرةٍ مقاصديةٍ واقتصاديةٍ ينجلي أن عدم الإنفاق يفضي إلىٰ الإقلال من الطلب الكلي، ويستتبع ذلك حدوث الانكماش، وتدنّي الإنتاج، وانتشار البطالة. وقد ألمح قوله ﷺ: «**ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقةٍ**»[1]، إلىٰ أنَّ بذل المال، والتصدق به يعود علىٰ المعطي والمتصدِّق كرَّة أخرىٰ في صورة قيم وأسعار وتحركات الاقتصاد الكلي؛ ذلك أن الفقير والمعدِم ينفقان تلك الصدقة علىٰ شراء ما ينتجه المجتمع من سلع وخدمات. أضِف إلىٰ ذلك أن الله يعوِّض المتصدِّق والباذل في الدنيا، ويثيبه في الآخرة بتنمية صدقاته، ويربِّي عطاءه[2].

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء أن مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ج ٤ ،ص ٥٦٢. رقم (٢٣٢٥).

(٢) أردوان مصطفىٰ إسماعيل، عارف علي عارف، الحوافز الاستثمارية للمال في الاقتصاد الإسلامي، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة (مجمع)، العدد الثامن، ٢٠١٤م ، ص١٦.

الفرع الخامس: مقصِد حفظ النسل.

يسعىٰ العمل الخيري إلىٰ الحفاظ علىٰ مقصد النسل، وذلك من خلال سبلٍ شتىٰ، منها:

- إنشاء جمعيات خيرية ترمي إلىٰ مساعدة المقبلين والمقبلات علىٰ الزواج، من حيث الترغيب في الزواج، وتسهيل إجرائه، وذلك بتخصيص قسط مالي يغطي تكاليف الزواج أو يخففها. وهذا يفضي إلىٰ نقاوة المجتمع وحمايته من الجرائم الجنسية، والانحرافات السلوكية؛ ذلك أن الزواج الشرعي هو الطريق الصحيح، والسبيل الفريد، لإبقاء النوع البشري، وإشباع الغريزة الجنسية، بعيدًا عن الوقوع في مستنقع الانحرافات الجنسية، مثل: الزنا، واللواط، وزواج المثليين الذي أنتجته الحضارة الغربية. فالزواج الشرعي: «قاعدة إلهية لا تخرم بانحرافات المجتمعات القديمة أو الحديثة»(١)، وإن المقصِد الأصلي من تشريع الزواج هو: «المحافظة علىٰ النسل إيجادًا وبقاءً»(٢).

- كذلك، يساهم العمل الخيري، في حفظ مقصِد النسل، من خلال تأسيس مراكز توعويَّة تثقيفية إرشادية، لتقديم العلاجات الناجعة، للمشكلات الأسرية، والخلافات الزوجية التي ازدادت في واقعنا المعاصر بسبب سوء استخدام التكنولوجيا الحديثة، وضعف الوازع الديني؛ من أجل صيانة مؤسسة الأسرة، والكيان الزوجي، من الانهيار والتصدع، والحفاظ علىٰ الأسرة المسلمة ببقائها مستقرةً سليمةً؛ ذلك أنَّ أعداء الإسلام المغرضين أدركوا أهمية مؤسسة الأسرة المسلمة، في

(١) يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص٣٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٠٥.

العالم الإسلامي، فعقدوا المؤتمرات، وبذلوا جهودًا مُضنيةً من أجل زعزعة الأسرة المسلمة، والتأثير في أفرادها، وسلخها من الهوية الإسلامية.

- يمكن للعمل الخيري، أن يلعب دورًا مهمًا في حفظ كلية النسل؛ وذلك بتوعية المقبلين والمقبلات علىٰ الزواج، بأهمية إجراء الفحص الطبي قبل عقد الزواج؛ ذلك أن هذا الإجراء يساعد في تأسيس أسرةٍ صحيةٍ سليمةٍ من الأمراض الوراثية أو المعدية أو المزمنة، بإذن الله تعالىٰ.

خاتمة

بعد تسطير البحث، أزِف أوان كتابة النتائج وقيد التوصيات، على الوجه الآتي:

أولاً: النتائج:

١- يقصد بالعمل الخيري أي جهد أو وقتٍ أو عملٍ صالحٍ، يقدِّمه الفرد، أو الجماعة، دون مقابل مادّي؛ من أجل إنقاذ المنكوبين، وإغاثة الملهوفين، وإغناء الفقراء والمساكين؛ لأجل إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، وتقدُّم المجتمع.

٢- تكاثرت الآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، على دعوةٍ صريحةٍ إلى فعل الخيرات، وممارسة أعمال الصالحات، والحثِّ على ذلك حثًا بليغًا، فأوجب الإسلام العمل الخيري تارةً، واستحبّه أخرى، وعدَّه من المقاصد الرئيسة للشَّريعة الإسلاميَّة.

٣- إن مما يؤصِّل للعمل الخيري، تنوُّع أبوابه، وتعدُّد مشاربه، من منظورٍ إسلامي. وإن نظرةً ثاقبةً إلى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تجلِّي هذا التنوع؛ ذلك أن من مميزات العمل الخيري في الرؤية الإسلامية هو الشمول والتنوع. فهناك الصدقة الماليَّة والاجتماعيَّة والنفسية والبيئيَّة وغير ذلك.

٤- لقد جاء الإسلام من أجل تحرير الإنسان من أغلال عبوديَّة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، وتقرير الحرية الإنسانية، ومن أجل تأكيد مقصد الحرية، فقد ربط الإسلام العمل الخيري بمفهوم الحرية؛ قصد

تحرير النفس الإنسانية من جميع القيود التي تعرقِل حركتها، وتصدُّ تزكيتها، وعدَّ الحرية جزءًا لا يتجزأ من العمل الخيري.

٥- تعدُّ مكافحة مشكلة الفقر التي يئنُّ منها العالم الإسلامي في واقعنا المعاصر من مقاصد العمل الخيري؛ لذا ينبغي علىٰ المؤسسات الخيرية القيام بإجراء المشروعات الاستثماريَّة؛ من أجل تأمين حدِّ الكفاية للفقراء، كذلك، إيجاد فرص العمل للفقراء؛ قصد تحويلهم من أشخاص عاطِلين مستهلِكين إلىٰ عامِلين منتجِين؛ فلا يمسوا عالةً علىٰ الآخرين. وأيضًا، قيام القطاع الخاص المتمثل بالشركات ورجال الأعمال وغيرهم بمساعدة الفقراء، وذلك بفتح مراكز خيرية، في مختلف شؤون الحياة للطبقة الفقيرة.

٦- من مقاصد العمل الخيري تثبيت مقوِّمات السِّلم الاجتماعي والسلام العالمي في المجتمعات الإنسانية، ولاسيما في واقعنا المعاصر، وذلك من خلال قنواتٍ قويمةٍ، منها: رعاية أطفال الشوارع وحمايتهم من الانحرافات الاجتماعية والوقوع في مستنقع الجرائم. ومساعدة الفقراء والمساكين للوقاية من ظاهرة التسول والتشرد. وكذلك المساعدة في حالات الآيات الكونية مثل الزلازل والأعاصير والفيضانات والسيول. وأيضًا، التصدي للأفكار الإرهابية، والأيديولوجيات المتطرفة، والمذاهب الإلحادية، وشبهات المستشرقين. وكذلك، تقريب الفجوة بين طبقات المجتمع، لا سيما الغنية والفقيرة. ووقاية المجتمع من الثورات والانهيارات، وتخصيصًا (ثورات الجياع)، وما أكثر تلكم الثورات والانتفاضات الشعبية في واقعنا المعاصر، وعلىٰ تراخي العصور!

٧- إن مقصِد المحافظة علىٰ الكليَّات الخمس يندرج في أعماق العمل الخيري؛ ذلك أنَّ العمل الخيري يسعىٰ إلىٰ المحافظة علىٰ كليَّة الدين والنفس والعقل والمال والعِرض.

ثانيًا: التوصيات

إضافةً إلىٰ ما سبق من توصياتٍ في تضاعيف البحث، نوصي بما يأتي:

١. انتهاض وسائل الإعلام المختلفة بوصفها السلطة الرابعة في المجتمع، بتوعية أفراد المجتمع بضرورة العمل الخيري وأهمية الانخراط فيه، وذلك من خلال برامج توعويةٍ تثقيفيةٍ، يشارك فيها المتخصصون في العلوم الإسلامية والاجتماعية.

٢. قيام وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، في العالم الإسلامي، بحملاتٍ إعلاميةٍ مكثَّفة من خلال خطباء المساجد، وذلك بتخصيص سلسلةٍ من خطب الجمعة، لتبيان أهمية العمل الخيري في الرؤية الإسلامية، وآثاره الإيجابية علىٰ القائم به في الدنيا والآخرة، ومدىٰ نفعه للمجتمع الإنساني، وعالم الحيوانات العجماوات، والكون كلِّه.

٣. اضطلاع وزارات التربية والتعليم العالي، بتضمين مناهجها التربوية والتعليمية، ما يغرس في قلوب النَّشء والطلاب حب العمل الخيري والمساهمة في تطبيقه عمليًا.

٤. قيام كل مؤسسةٍ خيريةٍ بتخصيص قسم خاص بتدريب المرأة المسلمة للإسهام في العمل الخيري؛ ذلك أن المرأة المسلمة غائبةٌ في هذا المضمار في الغالب، لاسيما أن هنالك مجالات عديدة لقيام المرأة بالعمل الخيري مثل الخياطة.

٥. نوصي علماء المسلمين الثقات بتنشيط باب الاجتهاد في حقل العمل الخيري؛ توسعةً لمجالاته في المجتمع، لاسيما في فقه الزكاة، والأوقاف، ضمن كليات الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- أصول العمل الخيري في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، يوسف القرضاوي، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨م.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، تحقيق: يحيىٰ مراد، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

٤- تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥ه.

٥- تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، عبدالله بن بيه، أبو ظبي، ٢٠١٤م.

٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.ط.

٧- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت.

٨- سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي أبو عيسىٰ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٩- شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢ه.

١٠- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت.

١٢- قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، قطب الريسوني، مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠٠٨م.

١٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢ه.

١٥- المستدرك علىٰ الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١ه.

١٦- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ه.

١٧- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥ه.

١٨- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٩- مغيث الخلق في ترجيح القول الحق، أبي المعالي عبدالملك الجويني إمام الحرمين، المطبعة المصرية، ط١، ١٣٥٢ه.

٢٠- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، حامد يوسف العالم، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤١٥ه/ ١٩٩٤م.

٢١- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، الأردن: دار النفائس، ط٢، ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م.

٢٢- الموافقات، إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١٤١٧،١هـ/ ١٩٩٧م.

٢٣- نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين عطية، دمشق، دار الفكر، د.ط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٣م.

ثانيًا: المجلات والدوريات

١- الحوافز الاستثمارية للمال في الاقتصاد الإسلامي، أردوان مصطفىٰ إسماعيل، عارف علي عارف، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة (مجمع)، العدد الثامن، ٢٠١٤م .

٢- العمل الخيري في ضوء القواعد المقاصدية، تمام عودة العساف، محمد حسن أبو يحيىٰ، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد٣، ١٤٣٤ه.

٣- العمل الخيري: دراسة تأصيلية تاريخية، محمد صالح جواد مهدي، مجلة سر من رأىٰ، المجلد٨، العدد٣٠، السنة الثامنة، ٢٠١٣م.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية

١. حالة العالم الإسلامي: أرقام ومؤشرات، أسماء ملكاوي، شوهد في ١٢/ ٧/ ٢٠١٨، متاح علىٰ الموقع الإلكتروني الآتي:
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/c73b7204-f2e5-4083-9476-9908b7e5bf64

٢. العمل الخيري: مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، إبراهيم البيوني غانم، مجلة حراء، شوهد في ٢٠/ ٦/ ٢٠١٨، متاح علىٰ الموقع الإلكتروني الآتي:
https://hiragate.com

٣. مشروع الإعلان العالمي المتعلق بحقوق ومسؤوليات الأفراد والجماعات في العمل الخيري والإنساني، باريس، ١٠/ ١/ ٢٠٠٣، شوهد في ١/ ٥/ ٢٠١٨م، متاح علىٰ الموقع الإلكتروني الآتي،
https://saaid.net/Anshatah/dole/35.htm

٤. نصف سكان العالم الإسلامي أميون، شوهد في١٤/ ٧/ ٢٠١٨، الموقع الإلكتروني:
http://www.aljazeera.net/news/miscellaneous/2014/9/5